يرأس وزير الخارجية الجزائرية، عبدالعزيز بوتفليقه، وفد بلاده الى القمة. اما رئيس م.ت.ف. فرأى ان يحضر القمــة ويواجه الحاضرين بمسؤولياتهم. وبقيت سوريا، وحدها، في الدعوة الى المقاطعة. وكانت سوريا شاركت في مؤتمر وزراء الخارجية بأمل ان تحمله على اتخاذ مواقف تتطابق مع مطالبها. وحين تعذر ذلك، حاول وزير الخارجية السورية اقناع اكبر عدد من زملائه العرب بالمقاطعة؛ فلما لم يقتنع أحد، قرر المقاطعة. وقبل مغادرته الخرطوم، عقد د. ابراهيم ماخوس مؤتمراً صحافياً بيّن فيه ان سوريا تخلّفت عن حضور القمة لأن وزراء الخارجية لم يوافقوا على توصيات مؤتمر وزراء المال والاقتصاد والنفط، اي انهم لم يبتّوا بمسألتي استمرار وقف ضخ النفط وسحب الارصدة. والى هذا، اظهر د. ماخوس استعداد سوريا للالتزام بأي قرار ايجابي يصدر عن القمة[٩١].

القمة الرابعة: ابرام التسوية الكبيرة

افتُتح اجتماع القمة الرابعة، في الخرطوم، في ٢٩ آب (اغسطس) ١٩٦٧، في ظل خلافات تم حل بعضها، كمارأينا، قبل الافتتاح، وكان بعضها، وخصوصاً الخلاف بشأن مستقبل اليمن، قيد الحل بين الطرفين المعنيين، مصر والسعودية؛ وبقي منها ما ينتظر الحل في مداولات القمة. وقد حضرت الاجتماع وفود خمس ممالك وامارة وسبع جمهوريات. وكانت هذه الممالك والجمهوريات، بالاضافة الى سوريا الغائبة، هي مجموع الدول العربية التي نالت استقلالها حتى ذلك التاريخ. وترأس الوفود ثلاثة ملوك وأمير وستة رؤساء دول، فيما ترأس وفد ليبيا ولي العهد، ووفد المغرب رئيس الوزراء، ووفد تونس ممثـل شخصي للرئيس، ووفد الجزائر وزير الخارجية. والى هؤلاء جميعاً، حضر، أيضاً، وفد م.ت.ف. وقد ضم شخصاً واحداً هو أحمد الشقيري[٩٢].

وقبـل افتتـاح المؤتمر بساعات، ألمح الرئيس جمال عبدالناصر، وهو يخطب في جمهور مدينة الخرطوم الذي خرج لاستقباله، الى الغرض الذي يتوخاه من وراء حضوره هذا المؤتمر، الذي هو، حسب رأيه، محاولة قد تفشل وقد تنجح، وقال: «جئنا الى هذه المحاولة، ونحن نعلم أن اخواناً لنا اعزاء علينا يرون، مقدماً، عدم جدواها. ولكننا آثرنا، مهما كانت الاعتبارات، ان نجيء»[٩٣]. وبهذا بيّن عبدالناصر، وهو يعلن استعداده لخوض التجربة مع الانظمة المحافظة، أنه يمثل معسكراً، بعض ممثليه الآخرين حاضر وبعضهم غائب، في اشارة واضحة الى سوريا، والى انه يأخذ موقفها وعلاقته معهـا بعـين الاعتبـار. ثم اكد الرئيس المصري المعنى ذاته حين اضاف: «اذا كانت الاجتماعات التمهيدية، التي كان عملها الاعداد لهذا الاجتماع على مستوى القمة، لم تحقق ما كنا نرجوه منها، فان ذلك، أيضاً، لا يثنينا عن التمسك بالمحاولة لآخرها»[٩٤]. وبدا ان عبدالناصر مقتنع بأن المؤتمر ميدان مواجهة سوف تسعى الدول المحافظة فيه، مستفيدة من نتائج حرب حزيران (يونيو)، الى ان تنتزع من الدول الوطنية التقدمية تنازلات عن نهجها الثوري؛ كما بدا، خلافاً لشركائه السوريين، مدركاً لأن الظروف المستجدة، ومنها حاجات دول المجابهة للحصول على الدعم والحاجة الى ظهور العرب بموقف موحد في وجه اسرائيل، تسوغ تقديم التنازلات. ومع أخذ قناعته هذه بعين الاعتبار، لم يكن عبـدالنـاصر مستعداً للاستسلام، في حين كان مستعداً لمساومة يأخذ فيها ويعطي، وان كان الهامش المفتوح لمناورته ضيقاً بحكم الظروف؛ ولذا لم يفته، في خطابه العلني هذا، تأكيد ان انعقاد القمة «يضـع موضـع الاختبار استعداد مصر، غير المحدود وغير المشروط، لأي محاولة يمكن ان تلوح من ورائها بادرة أمل في ان تكون للقوة العربية فعاليتها الحقيقية المطلوبة»[٩٥].

وفي اول جلسـة عمـل عقدها المؤتمر، بعد جلسة الافتتاح الاحتفالية، واقتصر فيها الحضور